اولياء الله في عداد الطوباويات وذلك في ٢ ك١ سنة ١٩١٩ وبعد ان أقيمت في رومية حفلات شائقة في الستة المنصرمة تكررت الاعياد في غيرها من المدن في السنة الحالية. وقد سُررنا نحن باقامتها بيننا في كنيسة حضرة الآباء اللعازاريين حيث أكرمت منشئة جمعية راهبات المحبة الطوبوية دي ماريلياك مع بناتها اللواتي جرين على آثارها فنلن ما نالته من الامتياز والشرف. فنهنئ من صميم القلب بنات القديس منصور دي بول بهذه الاعياد ونرفع الى الله شكرنا على ما احظى بلادنا من اعمالهن الخيرية وساعين المبرورة زادهن الرب عددًا وفضلًا لمجد كنيسته ولخير عباده

تنصُّر الامير عبدالله اللمعي (١

لحضرة الخوري اسطفان فريحه البشعلاني

نشر المشرق الاغرّ في سنته الماضية (١٩٢٠ : ٥٤٣) مقالًا بشأن تنصُّر الامراء اللمعيين والشهابيين جاء فيه ان اول من اعتنق النصرانية هو الامير عبدالله ذكره الرحالة الفرنساوي السيد بولس لوقاس في رحلته الى الشرق سنة ١٧١٤ بامر الملك لويس الرابع عشر ولم يصرّح بحقيقة نسبه ولا وطنه. ولمّا كنتُ قد تجرّدت للبحث عن هذه الحقائق المهمّة احببت ان اورد خلاصة ما وصلت اليه ابحاثي في هذا الشان خدمةً للتاريخ. وقبل ذلك انقل كلام الرحّالة بتمامه فانه بعد ان ذكر حادثة خلع البطرك يعقوب عواد واعادته الى كرسيه قال ما تعريبه بكل ضبط (٢ :

" من الحوادث الخطيرة التي كانت ضربةً أليمة على نصارى لبنان عزلُ الامير عبدالله الذي عُرف بجميله الى النصارى وامتاز بتعزيز الموارنة اكثر من سائر الحكام لانه كان يعاملهم بالحسنى ويستعين بهم على الولاة الاتراك محافظة على بقيّة سلطته طالما حاولوا نزْعها من يده

---

١) قد اقتصرت الان على ذكر تنصُّر هذا الامير على ان اعود انشاء الله الى التبسُّط في تاريخ تنصُّر بقية اللمعيين ولاسيما الامير حيدر الشهير

٢) رحلة لوقاس المجلد ١ الجزء ٣ ص ٣١٩ طبعة روان

«وكان الحاكم المعروف بامير الدروز مطلق التصرف في بلاده لكنه يخضع لوالٍ تركي ويقدم لهُ عسكرًا عند الحاجة ولم يكن خضوعهُ هذا ليؤثر براحته لولا ما كان يلقاه كل يوم من الترك من التضييق والتحكُّم مما يُلجئهُ الى استرضائهم بالمال الكثير

«على ان الامير عبدالله لم يستطع ارضاء ولاة صيدا والشام مع كل ما ابداهُ من التحوُّطات لكثرة مطامعهم . وكان اشدّهم طمعاً والي الشام الذي عُرف بالقسوة والجسارة حتى تمكَّنت هيبتهُ من قلوب الناس وكاد يفوق الصدر الاعظم سطوةً ونفوذًا وزادهُ عُجبًا تغلُّبهُ على العصاة من عرب فلسطين وغزَّة ولذلك صمَّم الصدر على عزله غضدًا لشوكته

«ورأى الوالي المذكور انه اصبح الحاكم باسره في البلاد فاخذ يتفنَّن بإرهاق الدروز وحكامهم بانواع المظالم والمغارم حتى اذا لم يستطيعوا القيام بضرائبه الفاحشة اتفق مع والي صيدا على نزع الحكم من يد الامير عبدالله واسرتهِ الذي ورثوهُ كابرًا عن كابر وتسليمهِ الى أُسرة اشتهرت بالعداء والبغض لهم

«فجمع هذان الواليان العساكر واتتهما النجدات لقتال الامير واحلافهِ واضطُرَّ الاميرُ الحاكم حفيد فخرالدين ان يترك قصره ويتوارى مع امراء البلاد في المغاور والجبال . اما الامير عبدالله فانه وقع في ايدي اعدائه الذين دبَّروا المكائد ونصبوا لهُ الأشراك . فكان حزن النصارى شديدًا ولاسيما المرسلين الكبوشيين الذين اجلَّهم الامير وقرَّبهم اليه وبنى لهم ديرًا في إقطاعتهِ وكان يريد اعتناق الدين المسيحي بعد ان يتلقَّن مبادئ لسراره المقدسة ويصير اهلًا للعماد

«وبينما كان ذلك الامير والشيخ الوقور ملقًى في ظلمة السجن وقد اصبح محرومًا من ضروريات المعاش كان المرسلون يحتالون لإيصال المساعدات اللازمة لحياتهِ وخاف الامير ان يهلك جوعاً وتذهب ارشادات هولاء الاباء باطلًا فطلب المعمودية فعمَّدهُ احد خدَّامهِ الموارنة بارشاد المرسلين الأفاضل . وقد اقتبل السرَّ بحرارة وتقوى كما يليق بالمسيحيين الاولين وكانت يداهُ مضمومتين وعيناه شاخصتَيْن الى السماء وهما تهطلان الدموع

«واذ ذاك صرح لخادمه الامين بكل شجاعة انه لم يعد يخشى الموت بعد ان نال

الحظ وصار نصرانياً وطلب اليه ان يُبلغ خبر تنصره الى الاباء الكبوشيين. فلمّا علم المرسلون بذلك طابت نفوسهم ولم يقتصروا على الدعاء لهُ بجزيل النعمة والحياة العلوية بل بذلوا الجهد في سبيل العفو عنهُ فاتّفقوا مع احد التجار على ان يؤدي الفدية عن الامير. غير ان الباشا لم يكتفِ بها بل شدّد في طلب فدية اتباع الامير كلّهم واذ لم يقدروا على أدائها ظلّ الامير مسجوناً

«واثّرت هذه المعاملة القاسية بابناء الامير عبدالله حتى صار يهون عليهم ان تذهب بيوتهم وأملاكهم ويسلم ابوهم فاخذوا يسعون لتخليصهِ وكان ابنهُ البكر الامير حسين اشجع امير في الدروز فجمع هو واخوتهُ رجالهم ورجال احلافهم وذهب الى الامير الحاكم المختبيّ وحمله على ان يجمع اصحابه حتى اذا تمّ حشد الجيش ساروا الى اعدائهم مصمّمين على النصر او الموت وهكذا زحفوا اليهم وكانوا قد تحصّنوا في عين دارة.

«ولم تمضِ ساعتان من الزمان حتى انتصروا عليهم انتصاراً باهراً فقتلوا من ناوأهم وغنموا ما كان معهم لكنهم لم يتعرّضوا لرجال الدولة وعسكرها مخافةَ إغضابها. وبهذا استعادوا حريّتهم المسلوبة واقطاعاتهم المغصوبة ولم يبقَ غير الامير عبدالله الذي لم يكن في وسعهِ ان يؤدّي فدية المسجونين أتباعهِ الباهظة ولذلك ساقوه الى البصرة القريبة من العجم وكان والي صيدا قد نُقِلَ والياً عليها

«على ان الامير المظلوم كان يعتبر ان عزاءه من الدنيا الحصول على سرّ السعادة فلم يرغب سوى الاجتماع بربه في السماء. وكان اوّل عملٍ قطعَهُ اولادُهُ بعد استعادة إقطاعاتهم انهم بعثوا افأتوا بالمرسلين الذين لم يكفّوا عن عمل الخير في البلاد من ١٧١٠ ايام حدوث الفتنة المذكورة وبناء على اشارة الصدر الاعظم واوامره الشديدة لم يعد والي الشام ولا غيره يُقلقون النصارى والدروز من ذلك الحين» (تمّ المنقول عن رحلة لوقاس)

***

ان الامير عبدالله هذا هو ابن الامير قيدبَيه ابن الامير ابي اللمع جدّ الامراء اللمعيين وقد اجمع المؤرخون على انهم ينتسبون الى بني فوارس التنوخيين من اشرف القبائل العربية المتنصّرة الذين يرتقي نسبهم الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة. هاجرت هذه القبائل بلاد العرب عند ظهور الاسلام واقامت بجوار حلب ثم انتقلت الى لبنان

في اوائل القرن التاسع وكانت عشر طوائف

ولما جرى اقتسام البلاد وتفرُّق الطوائف اصاب طائفةً من بني فوارس اقطاعةُ المتن فسكنوا اعاليهُ وقويت شوكتهم فيه الى ان نشأ منهم في اواخر القرن السادس عشر امير كبير يُعرف بابي اللمع مؤسس هذا البيت المشهور فاتخذ قرية كفر سلوان دارًا لاقامته واقام ولده البكر قيدبيه في صليما حيث نشأ الامير عبدالله حفيد ابي اللمع وكان وحيدًا لابيه (١

ومن مراجعة رواية رحّالتنا يظهر ان الحوادث المذكورة فيها لا تختلف عما جاء في تواريخ الامير حيدر وطنوس الشدياق وغيرهما من التنازع والتطاحن بين الحزبين القيسي واليمني وتواري الامير حيدر الحاكم الكبير وقيام الامير حسين ابن الامير عبدالله زعيم القيسيين وكيف جمع احزابهُ ودمّروا اليمنيّين في عين دارة حتى ابادوهم عن بكرة ابيهم (٢ الى غير ذلك مما يدل صريحاً على ان الامير عبدالله هو اميرنا اللمعي ليس غيره

اما مسئلة وقوعه في الأسر ونفيه الى البصرة فانها وان لم تَرِدْ في التواريخ الوطنية فليست بالامر الغريب وقد رأينا حفيدهُ الامير حسن ابن الامير حسين في صليما يؤخذ اسيرًا ويصيبهُ ما اصاب جدَّهُ من النفي الى البصرة حتى فُدي اخيرًا وعاد الى بلاده عن طريق دمشق بعد غيبة طويلة (٣ . هذا وان الرحالة المذكور كان معاصرًا للامير عبدالله فتقصّى اخبارهُ ووقف على تفاصيلها من الكبوشيين وغيرهم من الثقات مما فات غيره من المؤرخين المتأخرين

بقيت مسئلة تنصُّر الامير التي هي الغاية من مقالنا هذا فانهُ وان لم يذكرها غير لوقاس فقط فان لدينا من البراهين والادلّة ما يؤكد صحّتها ويثبت رواية هذا الرحالة الغريب وهذه هي:

١ ان المؤرخين قد اجمعوا على ان اللمعيّين يعود اصلهم الى بني تنوخ من

---

١) طالع تواريخ الامير حيدر (ص ٣٥٠ و ٣٢٢ و ٣٣٣) وتاريخ الاعيان للشدياق (ص٦٧ و ٢٥٨–٣٠٤) وتاريخ البيطوري (في المشرق ٤: ٧٢٣) وشرشل بك (ج ٣ ص١٠٠) وغيرهم من المؤرخين ٢) طالع هذه الاحداث في التواريخ المذكورة لسنة ١٧١٠ م

٣) تاريخ طنوس الشدياق (ص ٦٨)

متنصرة العرب وان اجدادهم ملوك الحيرة اشتهروا بدينهم النصراني والإغراق فيه وكان لهم الايادي البيضاء في عمارة الاديرة وتشييد الكنائس (١ . ولما كانوا في الديار الحلبية ارغمهم المهدي (الخليفة العباسي) سنة ٧٧٩ م على الاسلام فاسلم الرجال وكانوا خمسة الاف ونجا النساء وبقين على نصرانيتهن واستشهد رجل فاضل منهم اسمه ليث (٢ ثم رحلوا الى لبنان حتى اذا ظهر مذهب الدروز عضده الامراء وعُرفوا به

وبقي فيهم نزوع الى النصرانية التي كانت تظهر كالنار الكامنة في بعض ادوار حياتهم حتى تنصّر الامير عبدالله ولم يلبث احفادُهُ ان اعتنقوا النصرانية باجمعهم في اواسط القرن الثامن عشر فيكون هذا الامير قد جاهر بميل عشيرته الموروث و نزعتهم المتسلسلة ولا عجب انهم كانوا يكتمون ميلهم هذا كما فعل الامير فخر الدين المعني فلانهم كانوا في وسط محمدي وحكومة اسلامية والاكثرية في إقطاعة المتن كانت من الدروز

٢ً ان لديَّ طائفةً كبيرة من الصكوك والمحرَّرات الموقَّعة بخط الامير عبدالله او الباقية من آثاره الكتابية وفيها ما يدلُّ على مبادئهِ النصرانية فلا نراه يذكر في كتاباته البسملة ولا نبي الاسلام مما جرى عليه الدروز وسائر بني محمّد . وسوف انشر شيئاً من هذه الكتابات . وكان شهيد الوطن الشيخ فريد الخازن رحمه الله يقول ان عنده صورة مكاتبات منقولة عن محرَّرات توسكانا بين الدوق والامير اللمعي تشير الى مبدإ الامير النصراني وتبرهن عن ذوقهِ الغربي كما اننا لم نسمع ولم نرَ في تاريخ اللمعيين ان اميرًا منهم جرى على قاعدة الطَّلاق المألوفة عند الدروز ولا تمنّى على شريعة تعدُّد الزوجات المرعيَّة عند المسلمين

٣ً ان كثيرًا من الحوادث التي وردت في رحلات الافرنج لم يذكرها المؤرخون عندنا إمَّا اختصارًا او إغفالًا لها لاشتهارها او لعدم اعتبارهم اهميتها وإما لانه لم تبلغهم اخبارها واذا بلغتهم فلا يجرؤون على ان يكتبوها . فهذه اخبار بعض المشايخ الخازنيين وبطاركة طائفتنا المارونية التي افاض بذكرها ده لاروك الرحّالة الفرنساوي لم

---

١) طالع مؤرخي العرب وتاريخ النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص٣٣-٩٣) وتاريخ كلدو واثور (ص٢٠٧) والكولونل شرشل

٢) ابن العبري تاريخه السرياني سنة ١٠٩٠ يونانيَّة

يذكرها الكتبة المعاصرون. وهذه رواية استشهاد الشيخ ابي رزق البشعلاني الذي قُطع راسهُ في قونية سنة ١٦٥١ وإعدام ولده الشيخ يونس الذي مات في طرابلس شهيداً على الخازوق سنة ١٦٩٦ كما فصّلها هذا الرحّالة باسهاب لم يذكر منها العلامة الدويهي سوى النزر القليل للاسباب التي اوردناها . وهكذا فان المعاصرين ومَن بعدهم لم يذكروا تنصُّر الامير عبدالله لان تنصُّره بقي مكتوماً كما جرى للامير فخر الدين المعني الشهير على يد مرسل من الآباء الكبوشيين او لم تبلغهم أخباره وهو بعيد ولو عرفوا لما تجرأوا ان يذكروهُ في حاتيك الايام . . .

٤ ان التقاليد التي تتناقلها الآباء عن الاجداد في قريتنا صليبا موطن الامير وفي غيرها من القرى المجاورة ان الامير عبدالله كان من الفضل على جانب عظيم وانه هو الذي قرّب اليه النصارى وجعلهم من خاصّتهِ ورجال دولتهِ . وهو الذي بنى لهم الكنائس والاديرة ووقف عليها الاملاك الواسعة . وعلى الجملة فقد كان حمًى للنصارى اللاذين به لجوءَ مغنمٍ او دفع مغرمٍ يقطعهم الاراضي ويعدّ اليهم يد المساعدة حتى نما عددهم وطابت لهم الاقامة في قرى المتن ولاسيما في صليبا التي رأت من العزّ والجاه في ايام اللمعيين ما جعلها تُباهي البلدان اللبنانية الكبرى حتى صاروا يقولون عنها في اغانيهم : صليبا يا امّ البلادِ

٥ ان من الآثار الدالّة على تديُّن الامير والناطقة بفضلهِ على النصرانية وحبّهِ لها الديرَ الكبير الذي انشأه في دير الحرف يوم كان متيماً في قصره برأس المتن ووقف عليه الاراضي التي تُقدَّر اليوم بألوف الليرات وقد كتب فوق عتبة باب الكنيسة ما نصُّه :

« بسم الله الحي الازلي الدائم الابدي وبه استعين انشأ هذا الدير المبارك ان شاء الله برسم طاعة الله وعنايتهِ حضرة الجناب العالي المكرم الامير عبدالله ابن المرحوم الامير قيديه الشهير بابن ابي اللمع عفى الله عنهُ بتاريخ ذي الحجة من شهور اثنين ومائة والف » (١٦٩١م)

وقد كُتب تحته : « عمل المعلم جرجس والمعلم سمعان والمعلم جرجس الشامي » .

والاخبار المروية عن شيوخ بني ابي جوده في قرية دير الحرف ان الامير عبدالله شيّد هذا الدير باعجوبة وهي : ان الوباء كان يفتك فتكاً ذريعاً في البلاد فخاف الامير على نفسهِ واهلهِ . فظهر القديس جرجس على جوادهِ للامير وليعض اهله وهم نيام وقال

لهم : «لا تخافوا انا مار جرجس النصراني صاحب كنيسة الوزّالة» وكان في قرية دير الحرف دير قديم على اسم القديس حلّ به الخراب ونبت في جوانبه الوزّال المعروف في بلادنا . فلما قام الامير واسرته من نومهم حدّث كل منهم الآخر بما رآه في الحلم واسرع الامير فرمّم الدير المذكور وجعل للكنيسة كاهناً يخدمها استقدمهُ من تولا البترون وهو الخوري جرجس الذي اتى بنسبه خيرالله الزعني من تولا جدّ أسرة ابي جوده الساكنة الى اليوم في دير الحرف وغيرها

٦ والأثر الذي كان في قرية صليبا وقد اقيم اقراراً بفضل الامير عبدالله كُتب على رخامة ناصعة بخط مزركش جميل ووُضع فوق السبيل المعروف بعين احمد وهذا نصّه :

«انشأ هذا السبيل المبارك حضرة الجناب العالي والمقام السامي الامير عبدالله ابن بلدع المكرم بتاريخ ضار الثلثا من شهر رجب من شهور سنة سبع عشر ومائة والف والحمد لله» (١٧٠٥م)

وقد نُقلت الرخامةُ الى قصر ابناء الامير يوسف اسماعيل في بكفيا بعد ان هدم السبيل احد المخربين الفاشيين في زمن الحرب الكبرى

٧ المعروف عندنا وعند الاباء الكبوشيين ان الامير عبدالله هو الذي انشأ دير الآباء الكبوشيين القائم الى اليوم في صليبا وطن الامير حوالي سنة ١٧١٠م وكان يجب مرسلي الكبوشية فدعاهم اليه ووهبهم مكاناً جميل الموقع في اعلى صليبا كان يُعرف يومئذٍ بعين بقحة فشيدوا فيه ديرهم على اسم القديس بطرس . واخذ عليهم عهداً ان يكون منهم طبيب يعالج الامراء والاهلين فضلاً عما يقومون به من الخدمة الدينية . وكان الامراء يقدمون للبادري جعلاً سنوياً من الحاجيات لمعاشه وبقي هذا العهد مرعياً زماناً طويلاً . وفي سجلات بكركي صورة صكّ شراء البادري مخايل الكبوشي الافرنجي رئيس دير صليبا من مريم بنت ابي رزق سركيس بن فهد من قرية الشبانيه من بلاد المتن سنة ١١٢٠هـ قطعة ارض في الشبانيه باعها البادري لرهبان السريان الكاثوليك فشيدوا فيها دير مار افرام الرغم سنة ١٧١٠م بمساعي الاب مخائيل الكبوشي الذي ترجّح انه صديق الامير عبدالله ومرشدهُ ومساعدهُ في سجنه والساعي في تنصّره . ومن ثمّ لا يبقى لنا ريب في انّ الامير عبدالله اللمعي هو اوّل امير تنصّر في لبنان وانّ رواية الرحّالة لوقاس مطابقة للحق وشهادتهُ مثبتة لشرف الاسرة اللمعية في سباقها الامراء المتنصرين